

الخطبة الأولى أما بعد: وبه أرسلت الرسل، وبه قامت الحدود، ونصب الصراط، وإليه المحاكمة، إنه التوحيد الذي هو حق الله على العبيد: قال تعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعَلِينَ [الأنبياء:16-17]. ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، بل هو الرزاق ذو القوة المتين، كما قال تعالى: قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام:14]. عباد الله، إن العبد إذا علم أن الله هو مالك الملك ومدبر الأمر، وأنه خالق السماوات والأرض وأنه ينزل من السماء ماء فينبت به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وأنه جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا وأنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، وأنه يهديكم في ظلمات البر والبحر ويرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنه يبدأ الخلق ثم يعيده ويرزقكم من السماء والأرض. إذا علمتم عباد الله ذلك كله وأقررتم به فاعلموا أن ذلك لا يكفي فإن هذا الإقرار قد أقر به المشركون من قبل، ولكن جعلوا مع الله آلهة أخرى عبدوها من دون الله قربوا لها القربان واعتقدوا فيها النفع والضرر، وعبدوا الجن من دون الله وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً [الجن:6]. والذي حقيقته هو انجذاب الروح إلى الله تعالى محبة وخوفاً، وإنابة وتوكلاً، وبالجملة فلا يكون في قلب العبد شيء لغير الله، فمن طاف بالقبر وقرب له وسأل صاحبه من دون الله فهو مشرك، وإن قال لا إله إلا الله، فهو شرك في المحبة وصاحبه مشرك، ومن اعتقد في مخلوق نفع أو ضرر من دون الله فقد أشرك بالله، ومن اعتقد أن أحدا يعلم شيئاً من الغيب غير الله فقد كفر، فاحذروا من الشرك عباد الله بكل صورته وأشكاله، تصرف لها الأوقات وتعظم في القلوب وتصرف لها المحبة ويعادى فيها ويوالى فيها، وتقدم على طاعة الله والحق، وما ذلت إلا باندثاره. وأشد البليات التي حلت بها، بدعوى أنها تدفع الشر وتذهب العين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنعام:17]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له)) وفي رواية: ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) ومن الناس من افتتن بالمشعوذين والدجاجلة الأفاكين، ومن حقق التوحيد الخالص نال السعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ [الأنعام:82]. والمقصود بالظلم في الآية كما فسره نبينا صلى الله عليه وسلم هو الشرك، فمن حقق التوحيد الخالص كان له الأمن والهداية التامة في الدنيا والأمن والهداية التامة في الآخرة، وإن من آثار التوحيد عباد الله، ويأتي هذا الأعرابي الذي ما عرف رستم، ولكنه عرف الله ووجد الله، ثم يتقدم ويشق بعض الوسائد ليربط دابته ثم يتقدم يتوكأ على رمحه فوق النمارق، من مصدر العزة والرفعة، عظموا الله فعظم الله شأنهم، قال له رستم وهو ينظر إليه مالذي جاء بك؟ فقال في عزة وشموخ: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، إنها العزة عباد الله، قلوب تعيش هم الإسلام وتحيا للإسلام وتموت للإسلام قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام:162-163]. وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: فيا عباد الله، قال صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) لو ترك كل مولود على فطرته لكان بطبيعته موحداً لله فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم:30]. وعلوهم التوحيد واربطوهم بالله وخوفوهم به وحده، وارقوا أبناءكم، وتداووا بكلام الله، إذا خالط القلب توحيداً وإيماناً بالله ويقين، علقوا القلوب بالله ولا تعلقوها بأحد غير الله، ولا تكثر الشكوى والأنين، فإن كل ذلك مما يضعف التوحيد في القلوب، لقد كان الموحد يقرأ قول الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن:18]. تحول هذه الآية بينه وبين الخلق جميعاً، فترى المصائب تمر به جميعاً، ولا يكشف لغير الله عن موضع علته، وإياك نستعين. اللهم وفقنا لعمل الصالحات، والإكثار من الطاعات،